المقتطف

الجزء التاسع من السنة الثانية والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩٨ — الموافق ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

البرنس بسمارك

للبرنس بسمارك شأن كبير في تاريخ القرن التاسع عشر لا يقل عن شأن نبوليون الاول فيه. ولقد احسن اليوده بلويتز مكاتب التيمس الباريسي حيث قال يوم بلغه نعي بسمارك "انهما اقتسما القرن التاسع عشر لنبوليون نصفه الاول وبسمارك نصفه الثاني وحول هذين

الرجلين العظيمين تجمع لهم الارض من نبغ منها في هذا القرن من الابطال والكتاب والساسة والفلاسفة والصناع والعلماء تجمعهم في مركب واحد وتكتب فوقه بحروف التاريخ العظيمة اسم نبوليون واسم بسمارك "

ولما قرأنا هذا الكلام وقفنا عنده واعدناه مرارًا وكأننا نرى بعين البصيرة موكبًا كبيرًا وقف فيه نبوليون وبسمارك على اكمة عالية يحفّ بهما الابطال والكتاب والفلاسفة والساسة والصناع والعلماء في دوائر متراكزة اقربها اليهما الابطال وابعدها العلماء. وسواء صحّ تشبيه بسمارك بنبوليون الاول او لم يصح فلا مشاحة في انهُ بنى امبراطورية عظيمة وعدم امبراطورية عظيمة وسيبقى لهُ شأن كبير في تاريخ الانسان ما دامت الوحدة الالمانية

واننا في ما نذكرهُ من تراجم الانام نرمي الى غرض كبير وهو ذكر ما يمكن ان يقتدى بهِ او يُتخذ مرشدًا في فهم المسائل التاريخية. فان لم يكن في سيرة المرء فائدة تجتنى فضلنا الكتابة في كل موضوع علمي او صناعي او زراعي على الكتابة فيها. اما سيرة بسمارك فمفعمة بالفوائد كما سيرى. ولذلك لا نعذر اذا لم نفرد لها فصلاً كبيرًا من المقتطف كما افردنا لسيرة غرنهِ غلادستون

ولد بسمارك (واسمهُ اوتو ادوارد ليوبولد فون بسمارك) في غرة ابريل سنة ١٨١٥ من بيت كريم لهُ شأن في خدمة البلاد الالمانية. ولم يكن ابوهُ من كبار الرجال المشهورين بعلو الهمة وسمو المدارك لكن امهُ كانت ابنة رجل من كبار رجال السياسة وكانت على جانب عظيم من العز والرزانة والتدين فورث منها الاخلاق التي امتاز بها. ويقال انها رأت فيهِ الميل الى السياسة منذ نعومة اظفارهِ فعلمتهُ الفرنسوية والانكليزية لتكونا عضدًا لهُ في المطالب السياسية. وكان في صغرهِ لين العريكة محبًّا للعزلة على غير ما صار اليهِ بعدئذٍ وكان تدوةً لاترابهِ في طاعة قوانين المدرسة. ولما شبَّ صار يقضي اوقات الفسحة المدرسية مع ابيهِ في الصيد والتقنص فنمت فيهِ غلواء الشباب ولقوت فيهِ النتوة والشهامة والميل الى اقتحام المخاطر بل الى الخفة والطيش كما يكون تلامذة المدارس العالية غالبًا فصار يقارع اترابهُ في معاقرة المسكر ومبارزة الخصوم فيجد في ذلك مُتفرجًا لنفسهِ بعد ان كاد يضيق عنها جسمانهُ. ولكنهُ لم يتأخر في دروسهِ بل جاز الامتحان في آخر مدة الدرس ممدوحًا من اساتذتهِ وتعلم علم الشريعة وعلم الزراعة وجُعل مستلمقًا في محاكم برلين. ويروى عنهُ انهُ كان مرةً يسمع شهادة رجل فرأى منهُ ما لا يرضيهِ فقال لهُ "اعتدل والاَّ طردتك" فاعترضهُ القاضي قائلاً ان حق الطرد من المجلس خاصٌّ بهِ فكظم بسمارك غيظهُ وعاد الى سماع الشهادة ولم يكن الاَّ لحظة حتى نهض واقفًا

وقال لغرجل " اعتدل والاَّ طردوك القاضي " . وبديهي ان من كان هذا طبعهُ لا يصلح للقضاء

وبعد قليل مضى الى الجيش ليقضي ايام الخدمة المفروضة على امثاله فرأى فيهِ ما يلائم طبعهُ من ركوب الخيل ومعاقرة الخمرة. وانقضت تلك الايام سريعاً فعاد الى املاك ابيهِ ليتولى زراعتها وكان ابوهُ قد اهملها فتلفت . وادارة الزراعة وسياسة المواشي تمرنان ذوي المرء كادارة البلاد وسياسة العباد فانع في ذلك كما انع بعدئذٍ في ادارة الامبراطورية الالمانية ثم في ادارة الاملاك الوسيعة التي وُهبت لهُ. لكنَّ نفسهُ كانت كبيرة

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فلم يكتفِ بزراعة الارض وسياسة المواشي والاهتمام بشؤون الفلاحين بل كان يركب جوادهُ ويطوي بهِ بطون الارض على الاعجاز نهاراً وليلاً كأن غلواء شبابهِ كانت اوسع من ان تحصر في تلك البقعة الضيقة. واتفق انهُ شاهد فتاةً بديعة الجمال شديدة التديُّن فصلتها فنيلهُ وكاشفها بحبهِ فنفرت منهُ لما رأتهُ فيهِ من مظاهر الطيش لكنهُ لجَّ في الطلب وخطبها الى ابيها فرأت ان قلبها يجبهُ رغماً عن اعتراض عقلها عليهِ فاقترن بها سنة ١٨٤٧ فكان اقترانهُ بها نجاة لهُ من المهالك التي تفضي على كثيرين من الشبان فتضعضعهم جسماً وعقلاً وتودي بهم اخيراً . وذهب معها للسياحة في سويسرا وايطاليا على جاري عادة الاوربيين بعد الزواج وبلغ مدينة البندقية وكان الملك فردرك وليم الرابع ملك بروسيا هناك فدعاهُ الى الطعام معهُ وحادثهُ في بعض المسائل السياسية فسرَّ بما رآهُ فيهِ من المجاهرة بالرأي . وقد بُني مستقبل بسمارك السياسي على تلك المقابلة

والتحقهُ اهل بلدهِ تلك السنة عضواً في مجلس النواب فلما دخلهُ سمع واحداً من حزب الاحرار يقول ان غرض الامة الالمانية من حرب الحرية التي نشبت سنة ١٨١٣ لم يكن الاقتصار على طرد الاجنبي من بلادها بل انشاء حكومة دستورية حرة فيها . فانتصب بسمارك لمخالفتهِ كأنهُ عدَّ قولهُ الموجب بل كأنهُ بطل مغوار شهد الوقائع وفاصل الخصوم. وما كاد يستهلُّ خطابهُ حتى جعل الاحرار يهزأون بهِ ويضحكون ويصيحون وكانوا الفريق الاكبر فجلس واخرج جريدة من جيبهِ وتظاهر كأنهُ يقرأها غير مكترث لهم حتى اذا خمدت ثورتهم وسكنت جلبتهم نهض على قدميهِ واستأنف الخطبة وسفَّه قول الخطيب قائلاً انهُ حطَّ مقام الغيرة الوطنية لطلب الاستقلال بحسبان الغرض منها حل مسألة داخلية طفيفة مدارها اختلاف الالفاظ . وما زال يسرد الدليل بعد الدليل حتى استرعى السمع . وتوالت خطبهُ في هذا الموضوع وكان مدار كلامهِ فيها الانتصار لملوك بروسيا قائلاً انهم يجلسون على سدَّة الملك

بمشيئة الله لا بمشيئة الشعب . فقامت عليه جرائد الاحرار والمتطرفين تسلقه بالسنة حداد فاصلتها في مجلس النواب وانشأ جريدة للرد عليها فاضطرمت نار الجدال واشتد سعيرها وطال زفيرها فعلم الملك ذلك ورأى فيه ملكيَّة نصيرًا شديد المراس. لكن كلمة الاحرار قويت على كلمة انصار الملكيَّة فاضطرَّ الملك ان يسلِّم لهم سنة ١٨٤٨ واضطرَّ بسمارك ان يختفي من خيلائه ويندب ما مضى ويعتزل السياسة ولو الى حين. غير ان السياسة لم ترضَ باعتزاله فاعيد الى مجلس النواب البروسي سنة ١٨٤٩ عضوًا فيه وبقي على نصرته للملكية ومقاومته لسواها وهو يحسب ان لبروسيا السيادة المطلقة على المانيا كلها الى ان اختاره الملك سنة ١٨٥١ عضوًا عن بروسيا في الاتحاد الالماني الذي ينوب عنه مجلس فرنكفورت . وكان هذا المنصب اهم المناصب السياسية واشدها خطرًا بالنسبة الى مصالح بروسيا فقبله عارفًا خطارته فجاء به من طيش السياسة كما جاء بزوجه من طيش الشباب لان فرنكفورت كانت مقر رجال السياسة ومحط الدهاة السياسي فرأى منها مملكة بروسيا كما كانت حينئذٍ أمة تخدم النمسا لا سيدة تخدم في بيتها . وسبب ذلك الشقاق الذي بينها وبين سائر الممالك الالمانية . وكان يعتقد ان النمسا اشد الممالك عداوة لبروسيا وان اول واجب عليه في مجلس فرنكفورت هو ان يطبِّق سياسة بروسيا على سياستها ولكن لم يمضِ عليه ثلاثة اشهر حتى رأى ان ممالك المانيا الصغيرة لم تكن تنال الحظوة في بلاط النمسا الاَّ باظهارها العداء لبروسيا . ولم يطل عليه الزمن حتى اقتنع ان النمسا لعدى عداة بروسيا وانهُ لابدَّ من مناجزتها يومًا ما لنزع صولتها عن ممالك الالمان الصغيرة. فسعى في هذا السبيل ثماني سنوات متواليات بهمة لا تعرف الملل ولا تخشى من الفشل فتعرَّف بملوك هذه الممالك ووزرائها واقنعهم بخلع نير النمسا بكل واسطة. واستخدم الجرائد لبث آرائه ولجأ الى كل الممالك السياسية واستخدمها لاذلال النمسا وتعزيز بروسيا حتى ترتبط عرى الممالك الالمانية بها . وزار باريس ورأى نبوليون الثالث وعلم عودهُ حالاً وسير غورهُ بعينه الثاقبة فاستعان به على اضعاف النمسا حتى اذا جنى كل ما يمكن ان يجنى منهُ من النفع سحقهُ سحقًا

وكان لهُ صديق حميم في بلاط ملك بروسيا وهو الجنرال فون جرلاخ اركان حرب الملك فكان يكتب اليه يومًا بعد يوم بكل ما يجري وكل ما يراهُ ويرتئيه . ويظهر من مكاتيبه لهُ ان عقلهُ السياسي قد حينئذٍ نموًّا عجيبًا بسرعة فائقة فانهُ لم تمضِ عليه سنة حتى احتطَّ خطة التي يجب ان تجري عليها بروسيا في سياستها الداخلية والخارجية . وكان الملك ووزراؤهُ يستدعونهُ الى برلين كل سنة لمناقشته في المسائل السياسية واستطلاع آرائه فيها

ويجرون على ما يشير به عليهم . وقد استدعوهُ في احدى السنين عشرين مرةً لهذه الغاية . ورأى حينئذٍ ان عظمة بروسيا لا تثبت في المانيا ما لم تثبت اولاً في اوربا كلها بالسياسة او بالسيف ولا يتم لها ذلك ما لم تقرّ جنودها اولاً حتى تهابها الدول الاجنبية وحينئذٍ ترفع الاحزاب الالمانية كلها سلطة الملك ولا يعود لحزب الجمهوري صوت يسمع

ومكاتيبهُ الى زوجته في هذه الفترة تدلّ على انهُ ندم ندامة الكسعي على طيش الشباب واعتمد على العون الالهي في اعماله والتجأ الى التوراة والانجيل ليرتشد بارشادهما

ثم مُنع الملك فردرك وليم من الاهتمام بشؤون المملكة لخلل اصاب عقلهُ وناب عنهُ البرنس وليم وهو الامبراطور وليم الاول وتغيرت الوزارة فتغيرت سياستها وأُرسل بسمارك الى بطرسبرج سفيرًا لدى قيصر الروس وذلك سنة ١٨٥٩ فلم تضعف عزيمتهُ ولا اهمل الغرض الذي عقد قلبهُ عليهِ بل كتب رسالة مسهبة في المسألة الالمانية بعث بها الى البرنس وليم النائب عن الملك واثبت فيها وجوب الاهتمام بتقوية الجندية وانبأ فيها بمصير السياسة الاوربية

ثم نُقل الى باريس سنة ١٨٦٢ واقام فيها بضعة اشهر وكان لهُ صديق آخر في الوزارة البروسية وهو الجنرال فون رون ناظر الحربية وكان من مذهبهِ وجوب تقوية الجنود البروسية حتى تصير اقوى الجنود الاوربية وكان آخذًا في سن النظام المؤدي الى ذلك ولكن الشعب كان مضادًّا لهُ وخاف الملك ان يقوى حزب الشعب على حزبهِ فتذكر بسمارك لانهُ كان قد قابلهُ مرارًا وهو في فرنكفورت وعرف عزيمتهِ غير انهُ خاف ان يأتي بهِ فيزيد اعتصاب الشعب عليهِ فاخذ الجنرال رون ذلك على نفسهِ وبعث اليهِ تلغرافًا يقول فيهِ "تعجل الاجاص" ففهم بسمارك مرادهُ وهرع الى برلين حالاً فوصلها في ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦٢ وكان الملك عازمًا على التنازل في ذلك اليوم وكاشف الجنرال رون بما في نفسهِ فقال لهُ استدعِ بسمارك وهو ينتظرك من هذه الورطة فقال لهُ انهُ لا يأتي الآن ولو استدعيتهُ وزد على ذلك انهُ بعيد عنا ويتعذر علينا ابلاغهُ ما نريد. فقال الجنرال هو هنا تحت امر جلالتكم. فاستدعاهُ الملك واستوزرهُ فبقي ٢٨ سنة وزيرًا للمملكة وناظرًا للخارجية

وتربّع في دست الوزارة وكل الاحزاب والجرائد ضدهُ والملك نفسهُ لم يكن قادرًا على نصرتهِ بل لم يكن يثق بنفسهِ وقد عزم على التنازل مرةً اخرى ولم يصرفهُ بسمارك عن ذلك الاَّ بعد جهد جهيد. لكن عزم بسمارك لم يخنهُ قط فقاوم خصومهُ الذين جاهروا بعداوتهِ والذين كتموها ودسوا عليهِ الدسائس خفية في بلاط الملك. ثم فتحت المسألة المهمة في مجلس النواب وهي حق الامة في تقدير نفقات الحكومة فقاوم النواب بكل جهدهِ لكي لا يمنعوهُ من انفاق

ما يريد انفاقهُ على تعزيز الحربية وقال عبارتهُ المشهورة وهي ان المشاكل لا تفض الاَّ بالدم والحديد وكأنهُ تمثل بقول ابي الطيب المتنبي حيث قال

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

فلُقِّب بالوزير الحديدي من ذلك الحين . وكان يتقي المطاعن كلها بنفسهِ مستبدئاً لها دون مولاهُ الملك كأنهُ ترس لهُ . ويمكن عزى الوئاق بين بروسيا وروسيا لكي يستعين بها على اذلال النمسا ولكنهُ كان يكره التهوُّر ويقول ان الامور مرصونة باوقاتها . وعرض القيصر اسكندر الثاني عليهِ ان يتاجزا النمسا وفرنسا معاً وقت ثورة بولونيا فلم يقبل مع انهُ كان يعلم ان الحرب الخارجية تنقذهُ من المشاكل الداخلية . ورأى لهُ في ذلك الحين فرصة على النمسا في مسألة دوقيتي شلزويك وهلستين فعزم ان يضمهما الى بروسيا ولكنهُ لم يجاهر بذلك في اعمالهِ السياسية بل اقنع النمسا بالاشتراك مع بروسيا في صد الدانمرك عنهما وفي احتلالها معاً فكان هذا الاحتلال خطأً سقطت فيهِ النمسا ولكنهُ لم يعاجلها بالغزوة القاضية الاَّ بعد ان وثق من ان ايطاليا تقوم معهُ لاسترجاع املاكها من النمسا وان فرنسا لا تصدهُ عن شيء والظاهر ان النمسا فطنت الى غرض بسمارك فاسترجعت جنودها من دوقية هلستين واستعانت بمجلس فرنكفورت فحكمت اكثرية اعضائهِ ضد بروسيا . فحلَّت بروسيا الاتحاد الالماني وطلبت من سكسونيا وهنوفر وهس كاسل مطالب لم يقبلن بها لانهنَّ ظاهرن النمسا عليها فبعثت اليهنَّ بالجنود حالاً واحتللتهنَّ واشهرت الحرب على النمسا

ويقال ان بسمارك وقف حينئذٍ وقفة المرتاب يضرب اخماساً لاسداس وكأنهُ يتحمل لنفسهِ عذراً عن تلك الحرب ويطلب من العناية الالهية دليلاً على رضاها بها . وبينا الملايين الكثيرة من اهالي النمسا والمانيا يودون ان يروهُ مكتوف اليدين امام سيف اجلاً ظهرت لهُ العلامة التي طلبها فان شاباً احمق هجم عليهِ بمسدسهِ ورماهُ بخمس رصاصات فلم يصبهُ بمكروه . وحسب بسمارك ان مجاتهُ العلامة التي طلبها من الله والحال زالت من نفسهِ الريب وعلم ان يد الله معهُ فاسرع الى بيتهِ قبل ان يصل الخبر اليهِ وكانت زوجتهُ قد دعت بعض صويحباتها للغداء معها فسألنهنَّ واستأذنهنَّ بخمس دقائق يغيب فيها عن الطعام ودخل غرفتهُ وكتب الى الملك بتفصيل ما وقع لهُ ثم عاد وهو يلوم زوجتهُ مازحاً لانها تأخرت عليهِ في الغداء ولما قضى حاجتهُ من الطعام نهض وقبَّلها على جاري عادة الالمان وقال لها هنيئاً مريئاً (وفي الاصل الالماني هضم جيد) فقد عدتُ اليكِ سالماً . فبهتت من هذا الكلام ولم تفهم مرادهُ . فقال لها ليس في الامر شيء بعبأ بهِ فان واحداً رماني بالرصاص واخطأني كما ترين

لكن هذا الشيء الذي قال انهُ لا يُعبأُ به كان من اشد الامور وقعاً في النفوس فلم يكد خبرهُ يذيع في البلاد حتى انجذبت القلوب كلها الى بسمارك كأنهُ مركز حبها وانعطافها. ولو بقي الايام والاعوام ينتش عن واسطة تجذب قلوب الالمان اليهِ ما وجد خيراً من تلك الواسطة . وبلغ الخبر الملك وهو على الطعام فنهض من ساعتهِ وركب مركبتهُ على خلاف العوائد المألوفة واتى بنفسهِ لتهنئة بسمارك بنجاتهِ . واجتمع شعب برلين تحت شرفات قصرهِ يهتفون لهُ وهو يخطب بهم ويحثهم على اعلاء شأن الوطن

ويقال ان بسمارك كان قاصداً ان يفطر بفرنسا قبلما يتغدّى بالنمسا وانهُ عرض على النمسا قبل اشهار الحرب باسبوعين ان تتحد مع بروسيا على محاربة فرنسا فتأخذا الالزاس وتجعلا ستراسبرج حصناً فاصلاً بينهما وبين فرنسا كما كانت في العصور الغابرة فرفضت النمسا ذلك ولم يكن يُنتظر منها ان تقبل بهِ

وشبَّت نار الحرب وبروسيا متأهبة لها اتمَّ التأهُّب والنمسا غير متأهبة بل غير مصدقة ان بروسيا تحاربها فدارت الدائرة عليها حالاً لكن بسمارك ابى ان يدخل حينئذٍ فلم يسلم بدخول ملك بروسيا الى فينا منصوراً ولم يشدّد الوطأة عليها في شروط الصلح ولكنهُ قهر الممالك الالمانية الصغيرة التي مالأتها عليهِ وضمها كلها الى بروسيا. ولعلهُ اضطرَّ ان يجامل النمسا بعد ان قهرها لانهُ رأى فرنسا قد نهضت تطالبهُ ببعض التعويض عن سكوتها. واضمر الشرَّ لفرنسا ولكنهُ لم يعاجلها بالعداء بل صبر عليها لتكون هي البادئة . وسألهُ سفير فرنسا حينئذٍ عما ينوي فقال " الصداقة الصداقة الدائمة " قال ذلك متبسماً. وسُئل احد مشيري بروسيا حينئذٍ عن معنى بسمارك فقال " الحرب مع فرنسا بعد اسبوعين اذا اصرَّت على مطالبها "

وعظم شأن بسمارك بعد هذه الحرب وانصاعت الاحزاب لرأيهِ ولا سيما في تقوية شأن الحربية وشدد عرى الاتحاد الالماني الشمالي وحالف الولايات الجنوبية سرّاً . وعُرضت حينئذٍ مسألة لكسمبرج وكادت تفضي الى الحرب بين فرنسا وبروسيا ولكنها فُضَّت بالتي هي احسن. وزار الملك وغلم باريس في معرض سنة ١٨٦٧ : وكان بسمارك معهُ فاحتفل الامبراطور نبوليون الثالث بهِ واستشارهُ في بعض الشؤون ولم يرَهُ بعد ذلك الاَّ لما اتى تسليم سيفهِ بعد واقعة سيدان فتمَّ لبسمارك ما يتمناهُ وهو الفرصة لاتمام الاستعداد للحرب المنتظرة التي يتم بها اتحاد الممالك الالمانية

وكان الحبر ندتي سفير فرنسا في برلين يثق ببسمارك ثقة عمياء فكتب صورة محالفة بين فرنسا وبروسيا من مقتضاها ضم مملكة بلجكا الى فرنسا مقابل اتحاد الممالك الالمانية. فاخذها بسمارك

منهُ وحفظها الى حين الحاجة اليها عالماً انهُ اذا ابرزها يوماً ما ابعدت قلوب الانجليزيين والانكليز عن الفرنسويين

ويقال انهُ كان يمهّد السبل لاسبانيا لتطلب البرنس ليوبولد البروسي ملكاً عليها عالماً ان ذلك يغيظ فرنسا ويجلبها الى الحرب الا انهُ كان يفعل ذلك خفيةً . فلما رشّحت اسبانيا هذا الامير رسمياً في الثالث من يوليو سنة ١٨٧٠ هاجت خواطر الفرنسويين وكانت الحكومة الفرنسوية تجهل مقدرة الالمان على ما يظهر فسقطت في الفخ الذي نُصب لها وبعثت الى سفيرها في برلين ليذهب حالاً الى إمس حيث كان الملك ولهلم ويطلب منهُ ان يتلافى الخطب حالاً ويصرف البرنس ليوبولد عن عزمهِ . وتكلّم النواب الفرنسويون في مجلسهم كلاماً آثار النخوة في الشعب الالماني فبذل الملك ولهلم جهدهُ في ارضاء فرنسا ومنع الحرب واقنع البرنس ليوبولد برفض ما عُرض عليهِ بعد ان اخبر السفير ان لا سلطة لهُ عليهِ ولكنهُ يبذل جهدهُ في اقناعهِ . فغارت فرنسا سياسياً ولكنها لم تقنع بذلك كأنها ارادت ان تقهر بروسيا وان تذلها ايضاً فامرت سفيرها ان يأخذ من الملك وعداً رسمياً بانهُ يمنع ترشيح البرنس ليوبولد في المستقبل لعرش اسبانيا . فاغتاظ الملك من هذا الطلب ورفضهُ واخبر السفير انهُ لا يزيد على ما فعل

وكان بسمارك آتياً الى إمس فلما وصل الى برلين اتاهُ تلغراف من الملك يخبرهُ بما وقع فتعشى تلك الليلة مع رون وملكي واستعلم منهما عن مقدار استعدادها للحرب حتى اذا علم انهما على اتم الاستعداد لها اخذ تلغراف الملك وبعث بهِ الى سفراء بروسيا ونشرهُ في طول البلاد وعرضها بواسطة الجرائد بعد ان نقحهُ كما يشاء حتى لا يبقي عن الحرب محيصاً . فاضرم نار الحمية في قلوب الالمان وفعل في يوم واحد ما عجزت عنهُ الازمان

واسرع الملك الى برلين ووقف بسمارك في مجلس النواب وقال ان فرنسا تخيّرنا بين امرين إما الحرب واما الذل . ونشر بعد ايام قليلة صورة المخابرة السرية التي كتبها السفير بدقي فكان نشرها ضربةً قاضية على سياسة نبوليون الثالث

ولا يسعنا المقام لوصف الحرب الطاحلة التي سقطت بها الامبراطورية الفرنسوية وقامت الامبراطورية الالمانية . ولا ذلك من غرضنا لا سيما وان صديقنا الفاضل جرجي افندي يني الطرابلسي قد وضع في وصفها كتاباً مسهباً ونحن نتوقع طبعهُ ونشرهُ يوماً بعد يوم . وقد كان بسمارك وزيراً لبروسيا كما تقدّم ولكنهُ حمل الوزارة الى ساحة الحرب وإلى الآن يقاسم مولاهُ الملك كل المشاق . وجاءهُ نبوليون الثالث بعد واقعة سيدان آملاً ان يلطف شروط التسليم التي فرضها الجنرال ملكي على الجنود التي كانت في سيدان فقابلهُ في كوخ حقير وكلهُ طويلاً في هذا الموضوع

قال المستر فوربس وكان مكاتباً لجريدة الديلي نيوز في تلك الحرب "تطأمت من كوة العربة التي كنت فيها عند الفجر فرأيت فارساً فرنسوياً عرفت بعد ذلك انهُ الجنرال زيله خارجاً من المكان الذي فيهِ بسمارك ثم تبعهُ بسمارك وعلا صهوة جواده وعدا في اثره فتبعتهما ماشياً ولكني قصَّرت عنهما لانهما اسرعا السير. ولم اسر الاَّ ميلاً حتى التقيت بمركبة مكشوفة فيها رجل عابس الوجه قاطب الجبين توسمتهُ فاذا هو الامبراطور نبوليون الثالث وكان لابساً رداء ازرق مبطناً ببطانة قرمزية وعلى صدرهِ نيشان كبير وبسمارك وزيله سائران بجانبهِ

ومعهما ضابطان آخران من الضباط الفرنسويين حتى اذا قاربت المركبة كوخاً بجانب الطريق شاهدت الامبراطور يلتفت الى بسمارك ويطلب ان ينزل في ذلك الكوخ فوقفت المركبة ونزل هو وبسمارك ودخلا الكوخ ثم جلسا امامهُ على كرسيين من القش (كما ترى في هذه الصورة) وبقيا يتكلمان نحو ساعة ونصف وكان بسمارك اكثرهما كلاماً (وكانهُ كان يحاول اقناع الامبراطور بوجوب التسليم على الشروط التي اشترطها ملكي!

قال. ثم تركهُ بسمارك وذهب ليفطر فالتقى بالجنرال شرودن الاميركي فقال لهُ هل رأيت كيف سلَّم الامبراطور ما قابلتهُ فقال نعم فقال بسمارك نعمَّا فعل ذلك بالنظر الى الحالة

التي قابلته بها لا الى الكلام الذي قاله لانني قلتُ له "اني احبي جلالتكم كما احبي سيدي الملك". وفي الساعة العاشرة عاد بسمارك وتكلم مع الامبراطور برهة وجيزة وأركبه المركبة وسار به لمقابلة الملك في قصر بلفي ولكن الملك لم يقابله الاَّ بعد ان تمَّ تسليم سيدان وحينئذٍ جاء الى القصر فقابله الامبراطور وما وضع يده في يده حتى اغرورقت عيناه بالدموع

وتوالت المعارك وبسمارك مع الجنود يشاركهم في تجشم المشاق واقتحام المخاطر حتى اذا رأى النصر يتبع النصر اطمأنَّ باله لانه علم ان اصدقاء فرنسا في النمسا وايطاليا لم يعودوا يجسرون على نصرتها وحينئذٍ اتمَّ ما وقف له العمر وجاهد في سبيله جهاد الابطال وهو اتحاد جنوبي المانيا بشماليها تحت رئاسة امبراطور واحد وكان ذلك في قصر فرسايا قصر ملوك فرنسا وفي الغرفة البديعة المعروفة بغرفة المرايا. هناك نودي بالملك ولهلم الاول امبراطوراً على المانيا وتمت الوحدة الالمانية

ولما قضى بسمارك غرضه من فرنسا جاءه تيرس ليكلمه في امر الصلح فاعجب بما رآه فيه من توقد الذهن وسرعة الخاطر ولين العريكة واجابه الى بعض ما طلب فترك مدينة بلفور الحصينة لفرنسا مع انها لازمة لالمانيا من وجه حربي. وقال انه لو درى ان فرنسا تستهل دفع الغرامة التي فرضها عليها لما اكتفى بها

ولما وضع الامبراطورية الالمانية هذا الموضع من العزة والمنعة حصَّنها بالاتحاد الثلاثي بين المانيا وروسيا والنمسا وهو المعروف باتحاد القياصرة الثلاثة لكي لا يبقى لفرنسا مطمع فيها لانه كان يخشى من انها تطالبه بالثار حالما يشتد ساعدها

ولما عُقد مؤتمر برلين برئاسته لوضع شروط الصلح بين الدولة العلية ودولة الروس كان في اوج مجده يزوره العظماء ومندوبو الدول دواليك وينتظر الواحد منهم نوبته بعد الآخر حتى يأذن له في مقابلته

وكان مكاتب جريدة التيمس الباريسي المسيو ده بلويتز في برلين حينئذٍ وطلب مقابلة بسمارك فلم يحظ بها الاَّ بعد ان رأى ان بسمارك انما هو في حاجة اليه ليستعين بجريدة التيمس في مسألة باطوم

قال المسيو ده بلويتز جاءني البرنس هيوهنلوهي في غرة يوليو يخبرني بان البرنس بسمارك دعاني الى الغداء معه في اليوم الثاني وطلب ان اذهب بثيابي العادية لان الغداء عائلي. فاستغربت ذلك منه لانني كنت اعلم يقيناً ان الدعوة ليست لي بصفتي الشخصية بل لانني مكاتب لجريدة التيمس. وهذه الدعوة التي لم اكن انتظرها ولم يسبق لها مثيل كانت لجريدة التيمس التي لي الشرف

بان انوب عنها . فانتظرت الساعة المعينة بفروغ صبر وفي اول مرة شعرت فيها بشيء من الاضطراب منذ شرعتُ في مكاتبة التيمس . ولا غرابة في ذلك لان كل احد كان يخشى صولة البرنس بسمارك وكنت عارفاً انهُ اغاظ من رسالة نشرتها التيمس منذ ثلاث سنوات وانهُ قادر ان يقول عني في اليوم التالي من زيارتي لهُ معها شاء فينتقم مني ومن التيمس على اسهل سبيل وتنشر الجرائد ذلك في طول البلاد وعرضها انتقاماً مني لانني فضّلت على مكاتبيها بالدعوة الى مائدة بسمارك . ولحسن الحظ لم يحدث شيء من ذلك ودخلت دارهُ في الوقت المعين وجلست مع عائلته انتظرهُ وانا مضطرب الافكار فدخل علينا وهو طويل القامة عريض الاكتاف بارز شعر الحاجبين وكان لابساً ثوبهُ الرسمي الازرق فوقفت امامهُ كما وقف داود امام جليات الجبار

وكانت شهرتهُ قد طبّقت الآفاق ولكنني اتيتُ منهُ فوق ما كنتُ اسمع عنهُ وهو من الرجال القلائل الذين وجدتهم فوق شهرتهم . وقد استغربت منهُ بساطة الاسلوب الذي استعملهُ لنيل غرضهِ السياسي فانا لم نكد نجلس على مائدة الطعام حتى قال لي " اني مسرور بمشاهدتك وارجو اننا نستطيع بهولة التيمس ان نزيل المشاكل من مسألة باطوم التي تكاد تحول دون نجاح المؤتمر ". واجلسني عن يمينهِ ونظر اليَّ نظرة لا انساها — نظرة الرجل الذي يحاول ان يسترضي رجلاً آخر لهُ في نفسهِ وتم او ينتظر منهُ فائدةً . واخبرني ماذا يحسن ان يُشترى في انكلترا واوربا حسب رأيهِ واوضح لي انهُ يحسن بمندوبي انكلترا ان يعدّا الامة الانكليزية لقبول ما يطلب منها قبولهُ رغبة في السلم . ثم سألني عن الصورة التي احسبها صالحةً لان ينشرها ما القاهُ اليَّ . فرضي بما اجبتهُ بهِ وترك مسألة باطوم كأنها حُلّت وقضي امرها واخذ يطرفنا ببدائع النكت والنوادر . ولم ارَ في حياتي جبّاراً مثلهُ يبدي من الظرف واللطف ما ابداهُ . والتفت اليَّ بعد حين وقال اظنك تحب البيرا فان لي صديقاً في مونخ يصنع هذه البيرا لي خاصةً . ثم سكب لي كأساً منها فسكتها بيدي وانا اضحك فقال لي ما يضحكك فقلت ان رجلاً مجذوماً قال لي في صباي انني سأرتقي في الدنيا ويصير الامراء يسكبون شرابي وها قد تمّت نبوءتهُ . فعبس قليلاً ثم قال نعم والنبوة صادقة وانا لا اسكب الشراب لكل احد ثم سكب لي كأساً اخرى وقال الاحسن ان تتم النبوءة مرتين . ثم قال بعد بضع دقائق اني رأيتك يوم وصولك ماراً في السوق تشتري شيئاً منها وقلت في نفسي يجب ان تفتخر برلين بان القادم اليها من باريس يجد فيها شيئاً يشتريهِ . فقلت نعم وربما زاد اندهاشك لو عرفت ماذا كنت اشتري فان المحل الذي انا فيهِ خالٍ من . . . . فضحك

حتى استتبّ على ظهره ثم قال واظنك قلتَ في نفسك ماذا فعلوا بكل ما اخذوهُ من فرنسا

وطالت مقابلة المسيو ده بلوتار خمس ساعات فعاد منها مشبعاً بالاخبار والآراء وخدم بسمارك حينئذٍ في مسألة باطوم ولكنهُ حفظ ما القاهُ اليه في ذاكرته وصار يقتبس منهُ مرةً بعد اخرى كلما دعت الحال . وغاظ بسمارك من ذلك حتى اقسم ان لا يسمح لمكاتب من مكاتبي الجرائد بمقابلته ولكنهُ لم يبرَّ بقسمهِ بل رأى ان للضرورة احكاماً فظلَّ يسمح لبعض المكاتبين بمقابلته اذا اراد ان يستخدم جرائدهم في غرض من الاغراض . ثم لما استقال فتح بيتهُ لهم ولم يعد يحاذر في ما يلقيهِ عليهم

وكان يهتم بامر الجرائد شديد الاهتمام خلافاً لما يدعيهِ ظاهراً وخلافاً لعبارتهِ المألوفة وهي "ان الجرائد حبر على ورق" وكان يستعين بها في حل المشاكل وتمهيد الامة الى ما يريدهُ ويتفق عليها الاموال الطائلة ولولاها ما تمَّ لهُ النجاح . ولم يكن يستنكف من الاقرار بانهُ يهتمُّ باقوالها كما يظهر من حديث لهُ مع المستر سموالي المكاتب الشهير . وقد نشر في جريدة المعاصر الانكليزية سنة ٨٩٣ ، ونشرناهُ في المقتطف الذي صدر في غرة اكتوبر تلك السنة وما جاء فيهِ قولهُ

"وقادنا الحديث والحديث ذو شجون الى الكلام على الجرائد وما تكتبهُ عنهُ فقلتُ لهُ ان ريتان جرى على قاعدة عمَّمها ايلها المسيو برتيس مدير جريدة الدبا وهي ان لا يتحرَّى نقض اشاعة مهما كانت وذلك اشاع البعض عنهُ ان روشيلد دفع اليهِ مليون فرنك لتأليف كتاب حياة المسيح فلم ينقض هذه الاشاعة لعلمهِ ان الزمان ينقضها . والَّف بعضهم كتباً ونسبوها اليهِ لكي تروج وطبعوها باسمهِ فلم يتبرَّأ منها . فقال "إن هذا الا احتقار لرأي الجمهور وكاتبٌ مثل ريتان متقطع عن الاشتغال بالمهام العمومية يستطيع ذلك ولكنَّ الرجل السياسي لا يستطيعهُ لان رأي الجمهور من القوى التي يعتمد عليها فاذا ساء ظن الناس بهِ وجب عليهِ ان يصلحهُ والاَّ لم يعُد قادراً ان ينفعهم بشيء"

ووصفهُ المستر سموالي حينئذٍ فقال "كان لابساً ثوباً اسود مزرراً الى عنقهِ لا وسام عليهِ ولا علامة فيهِ وهو عريض المنكبين طويل القامة كبير الهامة تراهُ يملأ الغرفة التي هو فيها سواء كان جالساً او واقفاً . وهو متعدد لا واحد فان الرجل الذي يعرفهُ الجمهور ليس بالرجل الذي تراهُ في بيتهِ وبين ضيوفهِ . وهو يزن كما كان منذ سنين لانَّ الشيخوخة لم تذهب شيئاً من معالي وجههِ فترى رأسهُ منتصباً بالانفة والشمم كانهُ جبار عنيد لم يعتدَّ الاَّ بالظفر . وكأن الطبيعة صوَّرت جسمهُ كما تصور جبال الارض وقاراتها . وعيناهُ كبيرتان زرقاوان برَّاقتان

تظهر فيهما المهابة والسلطة والغضب والحنو والذكاء . واذا احدق بهما الى انسان استجلى ضمائره حالاً . وقد اشتهر بهذه الفراسة واليها يُنسَب بعض نجاحه في السياسة . واذا نظرت اليه حسبت انك تطالع تاريخ المانيا مدة الثلاثين سنة الاخيرة "

وكان شديد الاهتمام بما يكتب في الجرائد منذ بداءة وزارته . قال المستر بني كنستون مكاتب جريدة الدايلي تلغراف انهُ قابلهُ سنة ١٨٦٧ وكتب كل ما قالهُ في جريدته حينئذٍ ولكنهُ لم ينسبهُ اليه وقد كتب الآن يصف تلك المقابلة قال : دخلت غرفتهُ فوجدتهُ جالساً وراء مكتبه ووجههُ تجاه الباب وهو بثياب الفرقة التي هو منها في الجيش . ولما دخلت نهض ومدَّ لي يمينهُ وقال انني مسرور بمشاهدتك وارجو ان تعلم انني اقابلك الآن مقابلة غير رسمية في غير ساعات العمل كانك واحد من اصدقائي جاءني للمسامرة . ولا بدَّ من انك تدخن " ثم قدَّم لي صندوقاً صغيراً من السيكار وقال ان الفورد اغسطس (هو الفورد اغسطس لفتوس سفير انكلترا حينئذٍ) اشار عليَّ بالاعتماد عليك وانا اعلم ان جريدتكم مألة الى بروسيا واني فاسألني عما تريد فاذا استطعتُ ان اجيبك عن مسائلك مع مراعاة ما يطلبهُ مني منصبي اجبتك عنها ولك ان تنشر اجوبتي في جريدتك والاَّ اخبرتك صريحاً او قلت لك ما يجب ان تطلع عليه محرري جريدتك دون سواهم فلا يشروهُ بل يرتشدون به . وقد قال لي لفتوس انك تتكلم الالمانية مثل الالمان ولكني انا مغرم بالانكليزية واذا سمحت فليكن كلامنا بها لاني احب ان اتمرَّن فيها وهذه الفرصة من احسن الفرص لذلك

وكان كل هذا الكلام بالانكليزية صحيحة ولهجة الصداقة والتودُّد فسكن روعي وجلستُ اليه ولم اسألهُ سؤالاً الاَّ اجابني عنهُ وقد نشرتُ اكثر ما قالهُ لي في الدايلي تلغراف الصادر في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٧ ولكن ليس كأنهُ منهُ . وكنتُ مبتدئاً في الصحافة في ذلك الحين والآن صرتُ شيخاً فيها واشهد على رؤوس الملا انهُ اذهلني حينئذٍ بمجاهرته بما في ضميره ورسم لي الاشراك التي نصبها لاولئك الحمقى المغرورين بنبوليون الثالث وقال انهم سيقوِّضون دعائم الامبراطورية ويهوِّرون الامة الفرنسوية . وذكر مشيري الامبراطور نبوليون غرامون وبندتي بالاحتقار والازدراء ولا سيما بندتي ولقَّبهُ بالابله وقال " ان هذين الاحمقين سيوقعان مولاهما في اكبر ورطة يوماً ما " واشار الى الاتحاد بين المانيا والنمسا ولم يكن احد يحلم به حينئذٍ ولا تحقَّق الاَّ بعد احدى عشرة سنة وقال ان روسيا ستجني العلقم اذا اصرَّت على ما تبغيه في المسألة الشرقية من غير ان تراعي مصالح جاراتها . وجملة القول انهُ كشف لي كثيراً من اسرار المستقبل فخرجت من لدنهُ واذا شاعر في نفسي بانني كنتُ احدِّث روح هذا العصر

هذا ونعد الى مؤتمر برلين فنقول ان بسمارك خرج منهُ بصفقة المغبون من حيث صداقة الروس لانهُ استحالَ عليهِ ان يوفق بين مصالحهم ومصالح النمسويين فانفرط عقد الثقة وخرجت روسيا منهُ وتبيَّن المانيا لاصقة بالنمسا . وذهب الى فينا سنة ١٨٧٩ فرحَّب بهِ امبراطورها واكرم مثواهُ اكراماً منقطع النظير وتحالفت الدولتان حينئذٍ على الدفاع ويقال ان امبراطور المانيا لم يكن راضياً بهذا التحالف لانهُ حسبهُ مغيظاً لروسيا اما بسمارك فكان غرضهُ الاول عزلة فرنسا حتى لا يبقى لها نصير فيدين وسعهُ في توسيع الخرق بينها وبين ايطاليا حتى اضطرت ايطاليا ان تلقي نفسها بين يديهِ وعقدت الحالفة الثلاثية بين المانيا والنمسا وايطاليا فتقوت بها النمسا على مقاومة الروس وضعفت بها فرنسا لانها اضطرت ان تحافظ على حدودها من جهة ايطاليا . وبقي عليهِ ان يمنع التقرُّب بين فرنسا وروسيا ولكنهُ عجز عن ذلك . وحاول تحالف روسيا ويقال ان صورة لحالفة كانت في جيبهِ حينما وقف في المجلس الامبراطوري سنة ١٨٨٨ وجاهر بان المانيا مستعدة لمصادقة كل من يطلب صداقتها ولكنها لا تعرض نفسها على احد ولا يغرها وعيد ولا يخيفها وعيد الى ان قال " انا نحن الالمان نخاف الله ولكنا لا نخاف احداً سواهُ "

وزارهُ السر وليم رنشمند سنة ١٨٨٧ في فردركسروه ونشر الآن في جريدة الدايلي نيوز ما كتبهُ حينئذٍ ومما جاء فيهِ قولهُ " دخل بسمارك غرفتي (في دارهِ) وانا افكرُ امتعقي ورحب بي ترحيب الصديق المخلص لصديقهِ ثم سار بي وارائي بيتهُ كلهُ وقال ان مشاكلكم (اي مشاكل الانكليز) لا تزول الاَّ بالحرب فان الحرب تضم الاحزاب كلها وتعلِّم انكلترا انهُ يجب ان تكون من اقوى الدول لكي تحفظ سلام اوربا . والحليف الطبيعي لكم المانيا وايطاليا هذه الدول الثلاث تحفظ سلم اوربا ضد روسيا وفرنسا وقد يكون السلم اضرَّ من الحرب واذا عرفت اوربا ان انكلترا والمانيا وايطاليا متحدة معاً ثبت السلم فيها . وقد قلت منذ خمس واربعين سنة ان بروسيا بجنودها وانكلترا بيواخرها تقاومان العالم ولم يزل هذا رأيي . ثم لام السياسة الانكليز لانهم لا يقتحمون الخاطر وقال انهُ يحب باللورد سلسبري ويودُّ لو كان احزم واعجل وخطَّأ الحكومة الانكليزية في اطلاقها الحرية للصحافة في بلاد الهند . وقال انهُ من المغرمين بمطالعة روايات جورج ايوت (الكاتبة الانكليزية الشهيرة) . وعرض ذكر دزرائيلي فاعرب عن حبهِ لهُ وقال انهُ ابى ان يتكلم غير الانكليزية في مؤتمر برلين وكان البرنس كورتشكوف يعرف الانكليزية جيداً ولكنهُ ابى التكلم بها حينئذٍ ولما كنت رئيس المؤتمر فلم ترُقْ دزرائيلي وحدهُ بل احنقت اجنبيهُ بالانكليزية ففضل البرنس كورتشكوف وصار يتكلم بالانكليزية ايضاً فكان الفوز لنا

وهو يحتقر الفرنسويين اشد الاحتقار وقال لي لقد خدمكم السعد فضل البحر بينكم وبينهم لان خيلاءهم تحملهم على محاربة المسكونة كلها لو استطاعوا . ولا يمكن لفرنسا ان تستقر على حال لان طبع الفرنسويين يميل الى تغيير الاحكام اما نحن فنريد السلم ولكننا لا نناله ما لم نستعد للحرب . والحرب التالية لا تكون كالحرب الماضية لان الحصون التي اقامتها فرنسا تمنعنا من ان نتقدم فيها كما تقدمنا سنة ١٨٧٠ بل تنتظر الفرنسويين وتناجزهم في ساحة الوغى واذا اراد الله فعل بهم كما فعلنا سنة ١٨٧٠ ولا بدَّ من ان ننتصر عليهم الا اذا كان الله سبحانهُ يقود جنودهم

ولما ارتقى الامبراطور ولهلم الثاني الى سدَّة الملك حسب الجميع ان مقام بسمارك في الامبراطورية الالمانية قد تعزز مدى الحياة وقدمهُ ورسخت في الوزارة مدى العمر لما كان في ايام ابيهِ القصيرة وفاتهم ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل فكيف وهو على ما عُلم من الاعتداد بنفسهِ والاستعلاء على من سواهُ . فاوغر خصومهُ صدر الامبراطور الجديد عليهِ ورماهُ بعضهم بالاستبداد في مناصب الحكومة حتى لا يرتقي احد فيها ما لم يكن صنيعة لهُ وقال غيرهم ان الشيخوخة انهكتهُ حتى لم يعد يستطيع القيام بمهام البلاد لا سيما وانهُ لا يأتمن احداً عليها غير ابنهِ وابنهُ ليس مثلهُ في المناقب وعلو الهمة . واشار آخرون الى انهُ يغض من كرامة سيدهِ الامبراطور ولا يرعى لهُ حرمة زاعماً انهُ عاجز عن تولي مهام الملك لخداعتهِ كما كان جدهُ عاجزاً لشيخوختهِ

وكان بسمارك قد اعتاد الاستقلال في ادارة شؤون المملكة في اواخر ايام الامبراطور ولهلم الاول فلما رأى الامبراطور الجديد يهتم بها ويسألهُ عنها حسبهُ معتدياً على حقوقهِ وزاد الخلاف تمكناً بينهما الى ان رأى بسمارك نفسهُ مضطرًّا الى الاستعفاء فاستعفى في ١٨ مارس سنة ١٨٩٠ . ويقال ان آخر كلمة قالها للامبراطور كانت بالانكليزية فانهُ قال لهُ بعد عتاب طويل " اذًا انا في طريقك يا مولاي " فقال لهُ الامبراطور " نعم " فعاد الى بيتهِ وكتب صورة الاستعفاء وقدَّمها لهُ . غير ان الامبراطور بذل كل ما في وسعهِ ليخفف عنهُ ما فاتهُ من الم الاستعفاء على هذهِ الصورة . وظلَّ يبذل الجهد في استرضائهِ كل مدة حياتهِ لكنهُ لم يكن بالرجل الذي يغضي عن الاساءة او يسلِّم بان في البلاد مَن يقوم مقامهُ

وصورتهُ في ذلك الحين (وهي المرسومة في الصفحة التالية) تدلُّ على انهُ كان لم يزل شابًّا في صورة شيخ مع انهُ كان في الخامسة والسبعين من عمرهِ وقد صوِّر هذه الصورة بعد استعفائهِ بشهرين

ومرض سنة ١٨٩٣ فارسل الامبراطور يسأل عن صحته كأنهُ يريد ان يصطنع معهُ فلم شيء ذهب الى برلين وزار الامبراطور فردَّ الامبراطور تلك الزيارة في فردريكسروه. وسرَّ الناس بهذه المجاملة لانهم ظنوها تزيل ما في قلب بسمارك لكنها لم تزلهُ على ما يظهر. وقد يعذرهُ المرء اذا علم انهُ ضحَّى كل عزيز لديهِ في سبيل الوحدة الالمانية وانشاء امبراطورية يتعزَّ بها الامبراطور الذي اقصاهُ عن خدمته. فلما كان يسعى في تعزيز الجيش البروسي

ذكَّرهُ بعضهم بان احد الوزراء حكَّم عليهِ بالشنق وهو يسعى في ذلك السبيل فقال للملك "اني لا ابالي بالشنق اذا علمتُ ان الحبل الذي شنق بهِ يستعمل لرد اعدائك الالمانية بعرشكم" ولكن بسمارك يعلم لا الملك يجتهد لكي يرضي لاحكام الزمان ويرى ان لغيره رأياً ومشيئةً والملك هو ليس معصوماً من الخطأ والزلل

وسيأتي الكلام على ما جنتهُ المانيا من سياستهِ وما كان لهُ من الاكرام في وفاتهِ